من كتاب (النجف في ربع قرن)

الثورة النجفية سنة ١٩١٨
أو
قبس الثورة العراقية الكبرى
— ٥ —

بقلم الاستاذ محمد علي كمال الدين

٢ — الاطلاقة الاولى :

لقد طرق الحاج نجم باب (السراي) فرد على الحارس الهندي بادعائه انه بريدي (بوسطة) وسمى نفسه حسن الكصراوي (وقد كان حسن هذا شرطياً محلياً من اهل القصور في بادية النجف ومهمته نقل بريد الانكليز المنبثين في الشامية) وعند فتح الباب عاجل محسن ابو غنيم ذلك الهندي بطعنة خنجر اردته قتيلا ولما ازدحمت العصابة في المدخل صوب الكابتن مارشال مع رفيقيه مسدساتهم عليهم (وكانوا مضطجعين في اسرة النوم وسط الساحة) ولكن العصابة سبقتهم باطلاق النار فخروا على الارض واجهز الحاج نجم على مارشال وفي ذلك اليوم نشرت جريدة العرب في بغداد لسان حال الاحتلال بلاغا رسمياً يتضمن ان الثوار قتلوا الحاكم مرشل وجرحوا ضابطاً آخر .

وقد اغفل البلاغ رفيقهم الثالث وقد قيل انه غير بريطاني ولم تتجل لي الحقيقة . وعلى الاثر طلب الحاج نجم الى ثلاثة من رجاله ان يصعدوا الى البرج ولكن رشاش البرج المتيقظ جرح الثلاثة واضطرهم الى النزول فيئس الحاج نجم من النجاح لقلة عدد الهاجمين مع كثرة حامية البرج وتحصنها فعمد الحاج نجم الى الانسحاب من باب جانبية صغيرة فخطمها بمعاول كانت معهم وعند الباب سقط احد الجرحى الثلاثة ميتاً وهو حسن جوري ولولا نار العصابة الاحتياطية المتحصنة لكان في مقدور الحامية ان تقضي على الهاجمين قضاء مبرما او ان تجعل هروبهم من الباب عسيراً سيما الجرحى وقد توفي منهم صادق الاديب في بيته بعد يومين من الحادث والجريحان الاخران حميد حبيبان وحبيب بن جاسم خضير اختفيا وشفيا ولم يستسلما للسلطة بتاتاً . وقد ظهر للثوار ان السلطة المحتلة كانت على علم من تدبير هذه الثورة وذلك بواسطة الجواسيس في النجف وفي كربلا سيما اولئك الذين تجلى لهم الامر من تشبث ابراهيم السيد باقر في اثارة الكربلائيين فكان ايفاد السيد ابراهيم الى كربلا وبالاعلى الحزب وعلى السيد ابراهيم شخصياً حيث اوقفته شرطة كربلا قبل الثورة بيوم .

وعند بزوغ شمس ذلك اليوم وبعد مقتل حاكم النجف مارشال اسرع حاكم لواء الشامية والنجف الميجر بلفور من مقر اللواء في الكوفة الى النجف ووضع خطة الدفاع عن الحامية وفي عين الوقت استخدم دهاءه وحنكته وجراءته بان تظاهر في نفي التهمة عن مدينة النجف وان الهاجمين عصابة غريبة عن النجف ثم دار في اسواق البلد وقابله رئيس البلد السيد مهدي السيد سلمان فاقره على ما تظاهر به حتى ان المنادي نادى بامر بلفور بان يفتح الناس حوانيتهم ويعودوا الى مزاولة اعمالهم ولكن الشرطة التي وزعها الحاكم على المحلات صادف قسم منها في محلة المشراق افراداً مسلحين من الحزب وهم اولاد سعد واتباعهم فتحرش الشرطة بهم وتبادلوا اطلاق الرصاص فقتل شرطيان ولكن اولاد سعد لم يكتفوا بذلك بل سارعوا هم واتباعهم الى الميدان واطلقوا الرصاص على بلفور نفسه وذلك عند رجوعه من السوق غير انهم اخطأوه . اما الشرطة المنبثة في المحلات فسرعان ما استولى النجفيون على سلاحهم وكان معظم افرادها من اخواننا الايرانيين الذين لم يجربوا السلاح والحرب ولذلك بادر اكثرهم مستجيراً بالسيد مهدي السيد سلمان فاجارهم واحسن اليهم هم وعائلاتهم مع سائر الموظفين وقد مكثوا في بيته حتى نهاية الثورة .

٣ — زحف الجيش البريطاني :

اسرع بلفور في طلب النجدة واذا بالجيوش تتابع ابتداء

من يوم ٢٠ آذار تاركة ساحات القتال العثمانية وفي اليوم نفسه نشرت جريدة العرب البغدادية بلاغا رسمياً يتضمن احاطة الجيوش بالنجف كما نشرت الجريدة نفسها بعد مرور يومين بلاغا رسمياً ان الثوار حاولوا الهجوم في يوم ٢١ منه فلم يفلحوا واظنه يقصد محاولة الثوار حرق باب الحامية بالنفط ليلا الذي جر الى تبادل اطلاق الرصاص طبعاً . اما عدد افراد الجيش الزاحف فلا اظنه تجاوز الثمانية آلاف ضارب نار غير ان التظاهرات التي يقوم بها الجيش الانكليزي عادة وحركة النقل السرية والعلنية وكثرة المعدات والسيارات المدرعة وغير المدرعة والعربات والطيارات وما يتبعها من عمال وخدم كان يخدع ابصار الفراتيين ولذلك اقل تخمين شاع بينهم وهو اربعون الفاً . وقد اشغل الجيش شواطىء الكوفة ودورها وضرب خيامه واسلاكه الشائكة في طريق الكوفة الى النجف كما ضربها كذلك في جنوب الكوفة وشمالها . وتمركزت القوة المحاربة في مقام كميل بن زياد التابعي الشهير والذي يبعد عن النجف اكثر من كيلومترين وانتهك الجيش حرمة هذا التابعي البطل الصالح بان جعلت من قبته وكراً للمدفعية واشغل الجيش متارب الجدول الممتد من مشرعة علوة الفحل على الفرات شمالي الكوفة الى النجف وحفروا خنادق في القسم الجنوبي منه فكان هذا الجدول خير خط يتصل بالحامية المحاصرة ولكن ما وراء المهدران الذي دخل اخيراً في دار جريدة الهاتف ملكياً ولا ننسى ان هذا الجدول الميت يعرف (كري الشيخ)

٤ ــ وساطة العلماء :

جاء في بلاغ رسمي نشرته جريدة العرب ان العلماء في يوم ٢٢ منه خاطبوا رجال السلطة المحتلة يرجون التساهل مع النجف فكتب حاكم اللواء الى العلامة السيد كاظم الطباطبائي يستنكر اعمال النجفيين ويحرض العلماء على مساعدة الحكومة للعمل على استتباب الامن كما ارسل الحاكم الملكي العام في العراق كتابا مؤرخاً ٢١ منه وهذا نصه : ــ الى حضرة أية الله الحاج سيد محمد كاظم الطباطائي

دامت بركاته .

لقد اصدر صاحب الدولة قائد الجيش العام الاوامر اللازمة باخماد الفتنة التي وقعت في النجف الاشرف وكدرت خاطره كثيراً وقد اصدر ايضاً الاوامر بالقاء القبض على المفسدين الذين سببوا هذه الفتنة وبالمحافظة على سمعة البقعة المباركة الشريفه وسمعة حضرات العلماء الاعلام دامت بركاتهم والمجاورين لذلك البلد الطاهر ولا شك في ان القبطان بلفور سيطلع حضرتكم على هذه الاوامر التي ان لم يطعها اهالي النجف الاشرف ويرضخوا لها فلابد ان تحصل بواسطتهم المضايقة على حضرات العلماء الاعلام الساكنين في النجف الاشرف وانا على يقين تام بانكم ستساعدون السلطات البريطانية وتعاونونها بثاقب فكركم وعالي همتكم وحسن نيتكم على تهدئة احوال البلد الطاهر واخماد الفتنة الحالية اذ انكم تعرفون حق المعرفة حسن نية الحكومة المعظمة ومساعيها الكثيرة التي تبذلها لاعلاء المبادىء الدينية التي يدين بها اهالي العراق وانقاذ شعوبه من المظالم والمفاسد السابقة . وانا لمنتظرون نتيجة مساعيكم المشكورة ادامكم المولى ملاذاً للاسلام والسلام . في ٢١ مارت سنة ١٩١٨ .

التوقيع

الحاكم الملكي العام في العراق

عند ورود هذه الكتب سراً بواسطة السيد مهدي السيد سلمان الوسيط بين الطرفين تهامست الطبقة الخاصة مستنكرة حماقة هذين الحاكمين بطلبهم العون من علماء الدين المجردين من السلطة الزمنية والعزل من السلاح والمحرومين من النفوذ بين جميع رجال السلاح من النجفيين وهم طبقة (المشاهدة) من الزكرت والشمرت وكان هذان الكتابان اكبر دليل على ضعف السياسة البريطانية عطفاً على السياسة العثمانية فقد اضاعا عليها عدداً كبيراً من المناصرين الاقوياء ونشطا حرب الاحرار الأتلافيين على العمل للاستقلال عن هذه الامم الحمراء .

يتبع

محمد علي كمال الدين